Journal of Islamic Sciences
Volume (4), Issue (2): 30 Jun 2021
P: 17 - 34

ISSN: 2664-4347

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد (4)، العدد (2): 30 يونيو 2021م
ص: 17 - 34

loyalty in the Holy Quran

Salama Awad Al-Hosan

Ministry of Endowments and Islamic Affairs and Holy Places || Jordan

Abstract: This study deals with the issue of loyalty in the Holy Quran. Because of its great importance in the Muslim faith and the impact it entails, and since this loyalty deals with many types, many people differed in its legitimacy, or expanded without restrictions, this study aimed to clarify the meaning and types of loyalty in the Holy Qur'an, and to know its most important aspects and the controls set by the Holy Quran for each of these types. To achieve these goals, the researcher followed: (the inductive approach) to collect and extrapolate the word loyalty in the Noble Qur'an, the (analytical) method to clarify the meaning of this word through its context in the Qur'an, and the (deductive) approach to derive the connotations of this word through the Qur'an context. And this study reached some results, the most important of which are: that loyalty may be to someone other than God in its worldly sense, and it may only be in its absolute meaning to God Almighty.

Keywords: Loyalty, The Quran, Appearances, Regulations.

الولاء في القرآن الكريم

سلامه عوض الحصان

وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية || الأردن

المستخلص: تناولت هذه الدراسة موضوع الولاء في القرآن الكريم، لما له من أهمية بالغة في عقيدة المسلم، وما يترتب عليها من أثر، ولمَّا كان هذا الولاء يتناول أصنافًا عديدة، تفاوت كثير من الناس في مشروعيتها، أو في التوسع فيها دون ضوابط، هدفت هذه الدراسة إلى بيان معنى الولاء وأنواعه في القرآن الكريم، ومعرفة أهم مظاهره، والضوابط التي رسمها القرآن الكريم لكل نوع من هذه الأنواع.

واتبع الباحث لتحقيق هذه الأهداف: (المنهج الاستقرائي) لجمع واستقراء لفظة الولاء في القرآن الكريم، والمنهج (التحليلي) لبيان معنى هذه اللفظة من خلال سياقها في القرآن، والمنهج (الاستنباطي) لاستنباط دلالات هذه اللفظة من خلال السياق القرآني.

وتوصلت هذه الدراسة إلى بعض النتائج كان من أهمها: قد يكون الولاء لغير الله بمفهومه الدنيوي، ولا يكون بمعناه المطلق إلا لله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الولاء، القرآن، مظاهر، ضوابط.

مقدمة.

الحمد لله الذي نزّل القرآن على رسوله-ﷺ- تبياناً لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، والصلاة والسلام على الهادي البشير سيدنا محمد-ﷺ- وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله تعالى الذي لا تنقضي عجائبه وأسراره، ولا تنتهي إلى حدٍ كنوزه وعلومه، وهو المنهاج الذي يزيل ما غم على قلوب البشر، وما أشكل على عقولهم، ولما أشكل على الناس حقيقة الولاء، كان لا بد

لنا من الرجوع إلى الكلام الفصل في هذا الأمر من القرآن الكريم، فقد وردت مادة (ولي) في القرآن في مواطن كثيرة، لذا جاء هذا البحث لدراستها دراسة موضوعية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

لمّا كان موضوع الولاء من الموضوعات التي أشكل على الناس حدودها وضوابطها، كان من الأهمية أن نبحث في المواضع التي جاءت متضمنة مادة هذه اللفظة لتجيب عن الأسئلة الآتية:

1- ما المقصود بالولاء في القرآن الكريم.
2- ما أنواع الولاء التي أشار إليها القرآن الكريم؟
3- ما مظاهر الولاء في القرآن الكريم؟
4- ما ضوابط الولاء التي أقرها القرآن الكريم؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- معرفة المعنى المراد من لفظة الولاء في القرآن الكريم.
2- معرفة أنواع الولاء في القرآن الكريم.
3- بيان مظاهر الولاء.
4- بيان ومعرفة ضوابط الولاء في القرآن الكريم.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في:

1- أن هذا الموضوع قد تأوله كثير من الناس، فمنهم من بالغ في تأويله ومنهم من تساهل، فجرد الولاء من ضوابطه وقيوده.
2- اللبس الحاصل عند كثير من الناس بين الولاء والتعايش السلمي وخاصة مع غير المسلم.

لذا كان لا بد من:

أ- جمع الآيات التي حملت هذا المعنى، للوصول إلى الهدف المنشود من الدراسة، وهو بيان وجوه ومظاهر الولاء في القرآن الكريم.
ب- مناقشة وجوه ومظاهر الولاء في القرآن الكريم مناقشة علمية، للوصول إلى معنى واضح كل الوضوح للولاء وضوابطه.

حدود البحث:

تعالج هذه الدراسة موضوع الولاء في القرآن الكريم، من خلال تتبع مادة(ولي) في القرآن الكريم، ومن ثم الاستعانة بكتب اللغة والتفسير والعقيدة والحديث الشريف.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع في الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، لم يجد الباحث حسب اطلاعه إلا الدراسات الآتية:

1- بحث الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة النبوية د. سميح الكراسنه وآخرون
2- كتاب " مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة " علي بن نايف الشحود
3- كتاب " الولاء والبراء " محمد بن سعيد القحطاني
4- مقالات في مفهوم الولاء، والبراء.

وبعد الاطلاع على هذه المؤلفات تبين أن جميع هذه المؤلفات لم تتناول الموضوع بدراسة علمية شاملة من خلال جميع مواضعها في القرآن الكريم، فبحث الانتماء والولاء الوطني في القرآن والسنة كان تركيزه منصباً على الانتماء والولاء الوطني مركزاً على الجانب التربوي في ذلك.

وأما كتاب الولاء والبراء لعلي بن نايف الشحود، فكان تركيزه على تحديد الولاء لله تعالى والبراءة من الكافرين والمنافقين، دون أن يتعرض للآيات ودلالاتها في بيان الولاء وأنواعه، وكذلك فعل القحطاني، وكذلك المقالات التي لم ترتقي إلى المستوى الذي تحاكي فيه أسلوب القرآن ومنهجه في عرض الولاء في القرآن.

منهجية الدراسة:

ويقوم منهج البحث على ما يلي:

1- المنهج الاستقرائي من خلال تتبع جميع الآيات التي ورد بها لفظة مادة (ولى)، ومن ثم الاكتفاء بالآيات التي تخدم الموضوعات ذات الصلة بالدراسة.
2- المنهج التحليلي من خلال النظر في تفاسير المتقدمين والمتأخرين والوصول إلى ما تبرزه هذه النصوص في خدمة موضوع الدراسة.
3- المنهج الاستنباطي لاستنباط الضوابط التي تحدد أنواع الولاء ومظاهره وحدوده، وما هو مباح وما هو محرم.

خطَّة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وتضمنت ما سبق.
- **تمهيد:** ويشمل تعريف الولاء لغة واصطلاحاً.
- المبحث الأول: الولاء الديني
- المطلب الأول: الولاء لله تعالى.
- المطلب الثاني: مظاهر الولاء لله تعالى وثمراته
- المطلب الثالث: الولاء للنبي -ﷺ-
- المبحث الثاني: الولاء الدنيوي
- المطلب الأول: الولاء بين المؤمنين.
- المطلب الثاني: الولاء للأسرة والقبيلة.
- المطلب الثالث: الولاء لولي الأمر.
- المطلب الرابع: الولاء المحرم.
- الخاتمة: أهم النتائج، التوصيات والمقترحات. والله اسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله وأن ينفع به، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

بداية وقبل الشروع في الموضوع يجب أن نقدم للموضوع بتعريف لمفهوم الولاء في اللغة والاصطلاح، حتى تكون الدراسة مبنية على منهج واضح لا تختلط فيه المفاهيم ولا تتعارض مع مفاهيم أخرى تخرج الدراسة عن مسارها الصحيح.

أولاً: مفهوم الولاء لغة:

الولاء لغةً: يأتي تعريف الولاء بمعانٍ متقاربة منها: "[ولى] الوَلِيُ: القربُ والدنوُّ، يقال: تباعد بعد ولى، و" وكل مما يَليكَ، أي مما يقاربك"[1] [2]، وكذلك تأتي بمعنى: ولاء "محبَّة وصداقة، معاهدة ولاء"[3]، ومنها الولي الذي يأتي بمعنى: "الصَّدِيق والنَّصِير، قال ابْنُ الأَعرابي[4]: الوِلِيُّ التَّابِعُ الْمُحِبُّ... والمُوالاةُ: ضِدّ المُعاداة، والوَلِيُّ: ضِدُّ الْعَدُوِّ"[5].

والولي من أسماء الله تعالى ويأتي بمعنى: "الناصِرُ، وَقِيلَ: الْمُتَوَلِّي لأُمور الْعَالَمِ وَالْخَلَائِقِ القائمُ بِهَا، وَمِنْ أَسمائه عَزَّ وَجَلَّ: الْوَالِي، وَهُوَ مالِكُ الأَشياء جَمِيعِهَا الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا، قَالَ ابْنُ الأَثير[6]: وكأَن الوِلاية تُشعر بالتَّدْبير والقُدرة والفِعل، وَمَا لَمْ يَجْتَمِعْ ذَلِكَ فِيهَا لَمْ يَنْطَلِقْ عَلَيْهِ اسْمُ الْوَالِي"[7]، والولاية: " بالكسر: السلطان. والوَلاية: النصرة، يقال: هم على ولاية، أي مجتمعون في النصرة "[8].

ويتضح من التعريفات السابقة أن الولاء هو النصرة والصداقة والمحبة والقرب والدنو، ويصح بمفهومه السابق على الخالق والمخلوق، غير أن الولاء لا يكون مطلقاً إلا لله تعالى؛ لأنه مالك الأشياء كلها وهو متولي تدبيرها، ومن معرفة اسم الله تعالى (الولي) يتبين لنا صفات الولي الحق وهي: التدبير والقدرة والفعل كما قال ابن الأثير.

ثانياً: الولاء اصطلاحاً: "هو مشاعر الفرد وأحاسيسه الإيجابية بالمحبة والنصرة تجاه موضوع معين"[9]، وبما أن الولاء مشاعر وأحاسيس فلابد من أن تكون هنالك علاقة قوية انتمائية بين الفرد والطرف الاخر، تحرك مشاعر الفرد وتدفعه إلى إخلاص الولاء بقناعة تامة للطرف الآخر، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

والولاء لا يكون بالإكراه؛ لأن الأصل فيه مشاعر وجدانية تتحرك بدافع المحبة، فمن لا يحب لا يخلص ولا يناصر؛ لذلك جعل الله تعالى المؤمنين بعضهم أولياء بعض، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71]؛ وسبب هذه الولاية لأن ديدنهم المحبة والتناصح والتراحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(1) الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج: 6، ص: 2528.

(2) عمر، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج: 3، ص: 2498.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الإعرابي، من أكابر أئمة اللغة، (ت: 231هـ). ينظر - الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص: 119-122.

(4) أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج: 15، ص: 411.

(5) محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت: 630هـ)، ينظر_ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص: 8.

(6) ينظر- ابن منظور، لسان العرب، ج: 15، ص: 407.

(7) الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج: 3، ص: 2530.

(8) السرحان، الولاء والانتماء لدى الشباب الأردني وأثره في بناء الشخصية، ص: 41.

(9) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج: 2، ص: 42.

ثالثاً: ورود لفظ الولاء في القرآن الكريم: ورد لفظ مادة (ولى) في القرآن الكريم صراحة في أكثر من تسعةٍ وسبعين موضعًا، بصيغٍ مختلفة، جاءت تفيد المحبة والنصرة في أكثر من ستةٍ وأربعين موضعًا، وبمعنى الحفيظ والمانع في أكثر من ثلاثة عشر موضعًا، وبمعنى الأرباب والأصنام وما يعبد من دون الله في تسعة مواضع تقريبًا، وبمعنى الأتباع والأعوان والأقران في أربعة مواضع، وبمعنى الابن والوريث والقريب في تسعة مواضع، وجاءت هذه الصيغ للتأكيد على هذا المعنى من خلال عدة محاور، من أهمها: إثبات الولاية المطلقة لله تعالى، كقوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الشورى: 9].

وجاءت معاني هذه اللفظة تلميحًا في القرآن الكريم في أكثر من ثمانية عشر موضعًا، حيث جاءت بمعنى المحبة والنصرة في أربعة عشر موضعًا، وبمعنى الأرباب في موضعين، وبمعنى الحفيظ في موضعٍ واحد، وبمعنى العهد في موضعٍ واحد.

المبحث الأول: الولاء لله تعالى وللنبي-ﷺ-.

والولاء في القرآن الكريم ظهر في أبرز ملامحه عندما بيّن الله تعالى أن الولاء الحقيقي هو عهد ما بينه وبين عباده، أخذه منهم أزلاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172]، ومعنى إشهادهم على أنفسهم "إنما هو بما نصب لهم من الأدلة القاطعة بأنه ربهم المستحق منهم لأن يعبدوه وحده، وعليه فمعنى (قالوا بلى)، أي: قالوا ذلك بلسان حالهم لظهور الأدلة عليه "، فهذا العهد ملزم للناس جميعاً، إلا أن منهم من كان إقراره بهذا العهد طوعاً ومنهم من كان كرهاً – النفاق - ؛ لذلك نجد أن كثيرًا من الناس تنكروا لهذا العهد.

وسوف أبين الولاء لله تعالى ولرسوله الكريم وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: الولاء لله تعالى.

والولاء لله تعالى يكون بالإيمان في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وقد أولى القرآن الكريم قضية الولاء لله جل العناية؛ لأنها أساس العقيدة الصحيحة، فلا إسلام ولا إيمان من غير ولاء مطلق لله تعالى، فإذا كانت الولاية استحقاقاً؛ فالله تعالى هو المستحق فله الحاكمية والسلطان المطلق الذي لا يقهر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: 164].

والنقل والعقل يحكم بأن الولاء المطلق لله وحده، فكيف تنصرف العقول عن الولاء لمن فطر السموات والأرض، وتكفل بأسباب ديمومة الكائنات في هذه الأرض، إلى من لا يملك من أسباب الدنيا شيئاً، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 14] "أي منطق يسمح بأن يتخذ غير الله وليا؟ إن كان يتولاه لينصره ويعينه، فالله هو فاطر السماوات والأرض، فله السلطان في السماوات والأرض، وإن كان يتولاه ليرزقه ويطعمه، فالله هو الرازق المطعم لمن في السماوات ومن في الأرض، ففيم الولاء لغير صاحب السلطان الرزاق؟"[(10)].

وإذا كان الولاء يعني المحبة والنصرة؛ فإن محبة الله تعالى هي الغاية التي يجد من أجلها المجدون، ويتهجد من أجلها المتهجدون، والمحبة هي الإتباع والاستسلام والانقياد الصادق لما أمر أو نهى، وكل ما خالف ذلك هو من قبيل صرف الولاء لغير الله لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ

(10) قطب، في ظلال القرآن، ج: 2، ص: 1054.

أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ﴾ [البقرة: 165] ؛ لذلك عبّر الله تعالى عن التزام المؤمنين بالمحبة الصادقة والعزيمة القوية بأنهم أشد حباً لله وذلك باتباع أوامره ونواهيه، والمحبة تقتضي الطاعة، فعلى قدر المحبة تكون الطاعة.

أما النصرة فتتمثل بعد الامتثال والطاعة بتحقيق التوحيد الخالص لله تعالى، فعن معاذ بن جبل-ﷺ- قال: قال النبي-ﷺ-: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟، قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه؟، قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم"[11]، وتكون بنشر تعاليمه التي أنزل إلى الناس كافة، والدفاع عن هذا الدين بكل الوسائل المشروعة، وحماية المقدسات، ونشر القيم الإسلامية السامية، وتحقيق العدل والأمان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7].

وقد أثبت الله تعالى لنفسه الولاية المطلقة في كتابه العزيز، ونفاها عمن سواه في مواطن كثيرة من القرآن[12]، ثم بين لمن تكون له الولاية بعده – جل جلاله - من عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: 55]، وفي إفراد لفظة (وليكم) إشارة "للتنبيه على أن الولاية لله سبحانه وتعالى على الأصالة، ولرسوله -ﷺ- وللمؤمنين على التبع"[13]، فبين أن الولاية أصالة لله تعالى، ثم للنبي -ﷺ- على التبع، ثم الذين امنوا، وتعرض لصفاتهم التي استحقوا بموجبها الولاية، فقال تعالى: ﴿والذين آمنوا﴾ أي: "أوجدوا الإيمان وأقروا به، ثم وصفهم بما يصدق دعواهم الإيمان فقال: ﴿والذين يقيمون الصلاة﴾ أي تمكيناً لصلتهم بالخالق ﴿ويؤتون الزكاة﴾ إحساناً إلى الخلائق"[14].

ثم كانت الحجة على من نقض الميثاق الذي قطعه مع الله وهو في عالم الذر، ببيان حال من اتخذ من دون الله أولياء، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]، وهنا يمثل الله تعالى حال من اتخذ أولياء من دون الله يرجون نفعهم ونصرهم، " هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتَّقَوِّي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتا يقيها من الحر والبرد والآفات، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ أضعفها وأوهاها ﴿لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفا، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفا إلى ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم"[15].

ولا يكمن الوهن ببناء البيت من النسيج فقط، بل يتعدى ذلك إلى ما هو أبعد من ذلك، فوهن البيت هنا تكمن في الضعف في فساد العلاقة بين أنثى العنكبوت وذكرها، ففي خضوع ذكر العنكبوت للأنثى وامتثاله لها جعل منه لقمة سائغة للأنثى، وهذا ما أظهره العلم الحديث، حيث قال أستاذ في علم الحشرات، في كُلّيةِ العلومِ في جامعةِ القاهرةِ في بعض كتبه العلميّةِ: "إنّ في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ العنكبوت اتخذت بَيْتاً﴾ إعجازاً علميّاً؛ حيث إنّ التي تبني البيتَ هي الأنثى، فجاءت تاءُ التأنيثِ في قولهِ: ﴿كَمَثَلِ العنكبوت اتخذت بَيْتاً﴾ الأنثى هي التي تغزِلُ البيتَ، وهي التي تُرغِبُ الذَّكَرَ في الدخولِ إلى البيتِ، حيث تقومُ أمامه بحركاتٍ مُغريةٍ، وتُسمِعُه بعضَ الألحانِ الطنّانةِ، فيأوي إلى بيتِها، وبعدَ التلقيحِ تأكلُه إنْ لم يفرّ ويهرب، وتفترسُه، وتأكلُ أولادَها من بعدُ إنْ لم يفرّوا، ويأكلُ بعضُ أولادِها بعضاً،

(11) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ج: 9، ص: 114، رقم: 7373.

(12) البقرة: 257/ الأعراف: 3 - 196 / هود: 113/ يوسف: 101.

(13) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: 2، ص: 132.

(14) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 6، ص: 193.

(15) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص631.

فضعفُ بيتِ العنكبوت إضافة إلى ضعفِ بنيتِه، هو ضعيف في علاقاتِه الداخليةِ، وقد يُجمعُ الضَّعفانِ في ضعفٍ واحدٍ"[16].

وهذا هو حال من يتخذ من دون الله وليًا فيركن إليه، فقد شبَّه الله تعالى حال هؤلاء بحال وهاء بيت العنكبوت من عدم وفاء الأنثى لزوجها وأسرتها، وهذا ما عبَّر عنه الله تعالى بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة: 165-166]

ثم يبين الله تعالى أن الولي الحق هو القادر الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 9].

المطلب الثاني: مظاهر الولاء لله تعالى وثمراته

ومن مظاهر الولاء لله تعالى ما يأتي:

1- **التبرؤ من كل شيء يخالف الولاء لله تعالى**، والبراءة من الشرك والإقرار بوحدانية الله تعالى من أوليات الولاء لله، فلا محبة لمن لا يقر بوحدانية الله تعالى، ولا نصرة لمن عادى الله ورسوله، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ...﴾ [الممتحنة: 4]، وقد صرحوا "بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله، وما دام هذا السبب قائمًا كانت العداوة قائمة، حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة، والبغضاء محبة"[17].

فلا ولاية محبة أو نصرة لمن حادّ الله ورسوله، مهما بلغت درجة القرابة أو تزايدت أواصر المحبة، فالمحبة في الله والبغض في الله، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22]، فالمؤمن الحق لا يوالي من أعلن العداء لله تعالى مهما بلغت درجة القرابة، فكل صلة ووشيجة لا تقوم على أساس محبة الله تعالى فهي منبوذة مذمومة.

ومثال ذلك تبرؤ الأنبياء من ولاية غير الله تعالى، وها هو النبي-ﷺ- يتبرأ من ولاية الكفار والمشركين، قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 196]، أي أن "نصيري ومعيني وظهيري عليكم (الله الذي نزل الكتاب) عليّ بالحق، وهو الذي يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه"[18]، مبيناً لهم في ذات الوقت عجز من يتولونهم من الأوثان وغيرها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: 197]، فإذا كان لكم من دون الله أولياء، فهل يستطيعون نفعكم أو دفع البلاء عنكم؟ كلا "لا يستطيعون نصركم، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصرة أنفسهم، فأي هذين أولى بالعبادة وأحق

(16) النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ج2، ص234.

(17) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 4، ص: 514.

(18) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج: 13، ص: 323.

بالألوهة؟ أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده، أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبَغاه بمكروه"[19].

2- **الطاعة**: والولاء يكون بالقول والعمل، فمن أعلن الولاء لله وجب عليه أن يعبر عن ذلك بالتزام طاعة الله تعالى فيما أمر أو نهى وتحكيم كتابه، وهذه الطاعة إلزامية لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: 59]، وطاعة الله تعالى تتمثل في إقامة شعائره وفرائضه التي فرضها، فتحقيق العبادات له تعالى هي من مضامين الطاعة، فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والابتعاد عما حرّم من الفواحش، وتنفيذ أوامره وإن خالفت هوى النفس، فقد ضرب لنا إبراهيم-عليه السلام- أروع صور الطاعة في الامتثال لأمر الله تعالى بذبح ابنه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102]، فكان الجواب من ابنه: أن يا أبتي أمر الله أولى بالنفاذ "إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب، ولكن في رضى كذلك وفي يقين (يا أبت) في مودة وقربى، (افعل ما تؤمر)... فهو يحس ما أحسه من قبل قلب أبيه، يحس أن الرؤيا

إشارة، وأن الإشارة أمر ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال والاستعانة بربه على ضعفه ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين"﴾[20]، هذا هو الولاء الحق لله تعالى في أروع صوره امتثالا واحتساباً.

3- **الدفاع عن الدين**: ويكون بإبراز الصورة الحقيقية المشرقة لهذا الدين الحنيف، إحقاقاً للحق وتنفيذًا لأمر الله تعالى في إيصال هذه الدعوة إلى جميع الناس، بالطريقة التي أراد الله تعالى، من الحكمة والموعظة الحسنة واللين والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

ويتضمن الدفاع أن ننتصر لدين الله تعالى من الطغاة والبغاة، سواء كانوا ممن ينتمون لهذا الدين أو من غيرهم؛ لأن من واجب الأمة الدفاع عن هذا الدين ومقدساته، والانتصار للمسلمين الذين اضطهدوا في مشارق الأرض ومغاربها؛ حتى لا يفتنوا في دينهم، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 39].

ثمرات الولاء لله تعالى.

1- **محبة الله تعالى**: وهي الغاية التي يسعى إليها من عرف الله تعالى حق المعرفة، فتحصل محبة الله تعالى لعبده عندما يخلص الولاء له، وينقاد لأمره رهباً ورغباً، وتظهر علامات محبة الله تعالى للعبد "أن يرى العبد مهديًا مسددًا ذا قبول في الأرض، فلطف الله بالعبد ورحمته إياه هي ثمرة محبته"[21]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54]، وهذه الآية تحذير من الله تعالى للمؤمنين من الوقوع في شرك الافتتان عن الدين، بأن هؤلاء لا وزن لهم عند الله تعالى، لذا

(19) الطبري، المصدر السابق، ج: 13، ص: 323.

(20) قطب، في ظلال القرآن، ج: 5، ص: 2995.

(21) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج: 1، ص: 422.

يستبدلهم بمن هم أعز عليه منهم، يدافعون عن دينه لأنهم يحبون الله تعالى ويحبهم فكتب لهم العزة والكرامة، وقد تحقق هذا في زمن خلافة أبي بكر الصديق-ﷺ- عندما حاولت فيه فئة ضالة أن تفرق بين أركان الإسلام وقواعده، وتبث جذور الفتنة بين المسلمين بعد وفاة النبي-ﷺ-، وهذه الآية وإن كانت قد تحققت في أبي بكر والصحابة الذين قاتلوا معه المرتدين، إلا أنها تنطبق في كل زمان أوجد الله تعالى فئة صابرة على الحق، مدافعة عنه، غايتهم في ذلك محبة الله تعالى ورسوله-ﷺ-.

2- **العزة والغلبة:** إن من استجار بالله ولجأ إليه لا يضره بعد ذلك شيئاً، لأن الله هو المعز وهو المذل، وهو القادر على كل شيء، فلا تقهره قوة ولا يمنعه مانع، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً﴾ [النساء: 139]، وليس أعجب ممن يوالي أعداء الله ويبتغي عندهم العزة، وقد سلبت منهم، وهنا "استفهام تقريع وتوبيخ، إن كانوا يبتغون عندهم العزة وهي المنعة والغلبة ورفعة القدر فإن العزة لله جميعًا، فهو يؤتيها من يشاء، فكان عليهم أن يطلبوها منه بصدق الإيمان والسير على سنته تعالى واتباع هداية وحيه الذي يرشدهم إلى طرقها، ويبين أسبابها"[22]، فو الله لن ينالهم إلا الخزي والذل الذي استمرأته نفوسهم الضعيفة.

فالذين يبتغون العزة من الله تعالى سينالون العزة، وسيكون لهم الغلبة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 56]، وهنا اضاف الله تعالى هذا الحزب "إضافة عبودية وولاية، وحزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة"[23]، وفي تذييل الآية بما جاء بها من المؤكدات بشرى من الله تعالى لأوليائه بأنهم منصورون لا محالة وإن استبطأت نفوسهم ذلك.

3- **حصول السعادة:** ومن ثمار الولاء المطلق لله تعالى أن يشعر الموالي لله تعالى بالرضا والطمأنينة والسعادة؛ لأنه أعلن الولاية الحقة الخالصة لله تعالى فعن أنس بن مالك-ﷺ-عن النبي-ﷺ- قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[24].

المطلب الثالث: الولاء للنبي-ﷺ-.

والولاء للنبي-ﷺ- من لوازم شهادة التوحيد، التي بها ينتقل الإنسان من حالة الكفر إلى نور الإيمان، وولاية النبي-ﷺ-حق، فهو أولى بنا من أنفسنا لقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...﴾ [الأحزاب: 6] وهذه الأحقية في الولاية قدمت على ولاية النفس "لأنه-ﷺ- بذل لهم من النصح، والشفقة، والرأفة، ما كان به أرحم الخلق، وأرأفهم، فرسول الله أعظم الخلق مِنَّةً عليهم من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه وبسببه"[25].

(22) رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج: 5، ص: 376.

(23) ينظر- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: 1، ص: 236.

(24) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ، ج: 1، ص: 12، رقم: 16.

(25) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: 1، ص: 659.

ومن مظاهر الولاء للنبي-ﷺ-

1- **محبته**: ومحبة النبي-ﷺ- واجبة على كل مسلم، وهي ليست كمحبتنا لأنفسنا أو أولادنا أو آباءنا أو محبتنا لرغبات النفس؛ بل هي محبة من نوع آخر لا يساويها ولا يدانيها محبة لقوله-ﷺ-: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"[26].

وهذا عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- يبين للنبي-ﷺ- مدى محبته له، إلا أنه تفاجأ من رد النبي-ﷺ- الذي بيّن أن الولاء الحقيقي والمحبة الصادقة له لا تكون إلا إذا بلغت مبلغاً يتجاوز حدود محبة النفس، فعن عبد الله بن هشام، قال: "كنا مع النبي-ﷺ- وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي-ﷺ-: لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي-ﷺ-: الآن يا عمر"[27]، فما كان من عمر إلا أن انخلع من محبة نفسه وآثر محبة النبي-ﷺ-؛ لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

ومن مظاهر محبة النبي-ﷺ- إتباعه فيما أمر أو نهى؛ لأن اتباع النبي هو اتباع لله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، وطاعته فيما يبلغ عن ربه تعالى؛ لأنه لا ينطق عن الهوى؛ بل هو وحيٌ من الله تعالى، وطاعته واجبة لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: 12]، وجاء التأكيد بطاعة الرسول بعد طاعة الله تعالى "لينبه على وجوب طاعته فيما يأمر به، ولو كان أمره غير مقترن بقرائن تبليغ الوحي لئلا يتوهم السامع أن طاعة الرسول المأمور بها ترجع إلى طاعة الله فيما يبلغه عن الله دون ما يأمر به في غير التشريع، فإن امتثال أمره كله خير"[28].

ومن مظاهر محبته أيضاً، توقيره وتبجيله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: 2]، وذلك حتى في رفع الصوت في حضرة النبي-ﷺ- والتأدب في مخاطبته، لذلك جاء الأمر الإلهي "أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي"[29].

ومن مظاهر محبة النبي-ﷺ- أيضاً الاقتداء به في كل حركاته وسكناته، وخاصة في الجانب التشريعي لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: 21]، وهذا التأسي والاقتداء به لأنه كان يمثل الجانب العملي للقرآن الكريم كما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة عندما سُئلت عن خلق النبي-ﷺ- قالت: "كان خلقه القرآن..."[30]؛ ولأن الاقتداء به هو الطريق الموصل إلى الجنة "لأنه حكم

---

(26) مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، كتاب الإيمان، بَابُ وُجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَالْوَالِدِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَإِطْلَاقِ عَدَمِ الْإِيمَانِ عَلَى مَنْ لمْ يُحِبَّهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ، ج: 1، ص67، رقم: 44.

(27) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، بَابٌ: كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج: 8، ص129، رقم: 6632.

(28) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 5، ص: 97.

(29) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج: 4، ص: 176.

(30) أبن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند النساء، مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ج: 41، ص: 148، رقم: 24601.

الوحي على نفسه، حتى صار في علمه وعمله على وفقه، فكان الوحي حاكمًا وافقًا قائلاً، وكان هو عليه الصلاة والسلام مذعنًا ملبيًا نداءه واقفًا عند حكمه"[31].

2- **نصرته:** ونصرة النبي-ﷺ- واجبة على كل مسلم لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ...﴾ [التوبة: 40]، وتكون نصرة النبي-ﷺ- بالدفاع عن سنته والتمسك بها، فعن العرباض بن سارية، قال: "وعظنا رسول الله -ﷺ- موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ"[32]، نشر دعوته إلى الناس كافة لقوله-ﷺ-: "بلغوا عني ولو آية"[33]، وقد أثنى النبي -ﷺ- على من قام بتبليغ رسالته على أكمل وجه فقال-ﷺ- "نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ"[34].

المبحث الثاني: الولاء الدنيوي

وهذه الوجوه من الولاء منها ما هو موافق لضوابط الشرع، ومتى خرج عن هذه الضوابط أصبح هذا الولاء مذموماً، وقد يصل حكمه إلى التحريم، ومنه ما هو مذموم وحكمه التحريم، ولا بد له من توبة نصوح، وهذه الوجوه ندرسها وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: الولاء بين المؤمنين.

والولاء بين المؤمنين له أصوله في الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: 10]، وهذه الأخوة هي أخوة في الدين والولاية كما قال البغوي- رحمه الله تعالى-[35]، وهذه الموالاة لها ركنان، هما: المحبة والنصرة، والنصوص الشرعية أكثرت من ذكر هذه الولاية لما لها من أثر في وحدة الأمة الإسلامية، ففي جانب المحبة وبعد أن بيّن أن المؤمنين إخوة، جعل هذه المحبة جزء من كمال الإيمان لقول النبي-ﷺ-: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[36]، وهذه المحبة تقتضي عدم ظلمه واحتقاره وغيبته، وستره وأن يكون في حاجة أخيه لقوله -ﷺ-: "المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ

---

(31) الشاطبي، الاعتصام، ج: 2، ص: 854.

(32) ابن ماجة، سنن ابن ماجه، ج: 1، ص: 16، رقم: 43. صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج: 2، ص: 610، رقم: 937.

(33) البخاري، صحيح البخاري، كتاب حديث الأنبياء، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ج: 4، ص: 170، رقم: 3461.

(34) أبو داود، سنن أبي داود، ج: 3، ص: 322، رقم: 3660). صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج: 2، ص: 1145، رقم: 2309.

(35) البغوي، معالم التنزيل، ج: 7، ص: 341.

(36) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، ج: 1، ص: 12، رقم: 13. مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ج: 1ص: 67، رقم: 45.

القِيَامَةِ"[37]، وإبداء المشورة والنصح له لما فيه الخير والرشاد لقوله-ﷺ- "وإذا استنصحك فانصح له"[38]، وكذلك من مظاهر المحبة الدعاء لأخيه المؤمن بظاهر الغيب لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

وأما النصرة للمؤمن فتكون أولاً في دينه إذا احتاج إلى مناصرة، قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 72] وكذلك تكون النصرة بإرشاده إلى طريق الحق وردعه عن طريق الباطل لقوله-ﷺ-: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ[39]، وتقتضي أيضًا الذب عن عرضه عند الوقوع في عرضه: "مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيه بِالْمَغِيبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ"[40].

المطلب الثاني: الولاء للأسرة والقبيلة

والأسرة هي الركن الأساس لبناء المجتمع، وهي اللبنة التي يقوم عليها تكوين شخصية الفرد، ومن ثم بناء الحضارات، ولما لها من أثر كبير في تقرير الغاية التي خلق من أجلها الإنسان، فقد أعطت الشريعة الإسلامية أهمية بارزة للأسرة، فجعلت النصوص التي تنظم شؤون الأسرة نصوصاً تفصيلية، تعالج جميع المشكلات التي قد تؤثر على جو الأسرة من محبة وألفة وتناصر وتناصح.

والقرآن يبين القيمة الحقيقية للأسرة من خلال الأساس الذي تقوم عليه من السكينة والطمأنينة والمودة والرحمة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21]، وكذلك يبين إن أولى الناس بالولاء بعد الله تعالى ورسوله هما الوالدان، وأكثر من ذكر فضلهما[41]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ [الإسراء: 23]، والسبب في أن الله تعالى قرن عبادته ببر الوالدين يعود إلى أن "السبب الحقيقي لوجود الإنسان هو تخليق الله تعالى وإيجاده، والسبب الظاهري هو الأبوان، فأمر بتعظيم السبب الحقيقي، ثم أتبعه بالأمر بتعظيم السبب الظاهري"[42]، وجاءت السنة النبوية مؤكدة لنصوص القرآن التي تحث على الموالاة بين أفراد الأسرة فقال-ﷺ-: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا مِنْ خَيْرِكُمْ لِأَهْلِي"[43].

ولم يترك الإسلام هذا الولاء مطلقاً، بل جعل له ضوابط تبين كيفية هذه العلاقة، فجعل الولاء بين الابن ووالديه يقوم أساساً على سلامة العقيدة؛ ولكن إذا تعذر ذلك أبقى على ولاء المحبة دون النصرة امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: 15]، والمصاحبة في الدنيا تعني البر فيما أمر الله تعالى

---

(37) البخاري، صحيح البخاري، المصدر السابق، كتاب المظالم والغصب، باب: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ، ج: 3، ص: 128، رقم: 2442.

(38) مسلم، صحيح مسلم، المصدر السابق، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، ج: 4، ص: 1704 رقم: 2162.

(39) البخاري، صحيح البخاري، المصدر سابق، كتاب المظالم والغصب، بَاب: أَعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، ج: 3، ص: 128، رقم: 2443.

(40) الطبراني، المعجم الكبير، مسند النساء، باب: الألف: أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الْأَنْصَارِيَّةِ، ج: 24، ص: 176، رقم: 443. صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج: 2، ص: 1071، رقم: 6240.

(41) سورة لقمان: 14-15، سورة العنكبوت: 8.

(42) الرازي، مفاتيح الغيب، ج: 20، ص: 321.

(43) ابن حبان (المتوفى: 354هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ج: 9، ص: 401، رقم: 4186. صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج: 1، ص: 575، رقم: 285.

لهما "وهو إطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وانتهارهما، وعيادتهما إذا مرضا، ومواراتهما إذا ماتا"[44]، وقد ورد في الحديث الصحيح أن أسماء بنت أبي بكر قالت: "أتتني أمي راغبة، في عهد النبي-ﷺ-، فسألت النبيﷺ-: آصلها؟ قال: نعم"[45].

ولا شك أن الإسلام ما جاء ليقطع وشائج الأرحام والقرابة، بل دعا إلى المحافظة عليها وإن اختلفت العقيدة مالم يتبع ذلك عداوة الله تعالى ولرسوله وللمسلمين، فقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]، فعن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: " قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا: ضباب وسمن وأقط، فلم تقبل هداياها ولم تدخلها منزلها، فسألت لها عائشة النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، فقال: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ الآية. فأدخلتها منزلها وقبلت منها هداياها"[46].

أمّا إذا ترتب على اختلاف العقيدة العداوة لله ولرسوله وللمسلمين، فعندئذٍ تحرم المولاة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الممتحنة: 9]

أما ولاية الآباء للأبناء فلا تختلف في جوهرها عن ولاية الأبناء للآباء، وقد أوجز الله تعالى لنا حكم ولاية الأبناء الخارجين عن عقيدة التوحيد في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿45﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: 45 – 46].

ولا ينفك القرآن من التحذير من ولاية غير الله تعالى، مذكراً بأن الولاء الخالص هو لله تعالى وحده، لا ينازعه في ذلك أحد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: 23]؛ لذلك تبرأ النبي -ﷺ- من ولاية النسب والقرابة، التي بنيت على أصول حمية الجاهلية الأولى، ليعلن الولاء لله تعالى ولعباده الذين ارتضى، وجاء ذلك في حديث عمرو بن العاص-ﷺ- قال: "سمعت النبي -ﷺ- جهارًا غير سر يقول: " إن آل أبى " - قال عمرو في كتاب محمد بن جعفر بياض - ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها"[47].

والولاء للقبيلة والعشيرة ضرورة لا غنى عنها، تأبى المروءة أن تتنصل منها وها هم قوم شعيب عزّ عليهم قومهم من التعرض له، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: 91]، وكذلك انحياز بنو هاشم مسلمهم وكافرهم مع النبي وأبي طالب في شعب مكة بعد محاصرة اهل مكة لهم، فأحق الناس بمحبة ونصرة الرجل هم قومه؛ لذلك كان الأمر الإلهي للنبي-ﷺ- أن يبدأ دعوته بقومه، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، فقد روى أبو هريرة-ﷺ- أنه لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله -ﷺ-: "يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد

(44) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج: 8، ص: 414.

(45) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الأدب، بَابُ صِلَةِ الوَالِدِ المُشْرِكِ، ج: 8، ص: 4، رقم: 5978.

(46)الواحدي، أسباب النزول، ص: 424. رواه الحاكم في صحيحه، قال محققه: وأصل القصة ثابت في الصحيحين وغيرهما دون ذكر الآية.

(47) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الأدب، بَابُ تُبَلُّ الرَّحِمُ بِبَلاَلِهَا، ج: 8، ص: 6، رقم: 5990.

المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت رسول الله، سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئا"[48].

كذلك نصرتهم في كل عمل يدعو إلى الفضيلة وينهى عن الرذيلة كما نصر النبي-ﷺ- قبيلته قريش في حلف الفضول، الذي يدعوا إلى نصرة المظلوم وردع الظالم فقال-ﷺ-: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت"[49]، هكذا تكون نصرة القبيلة أن ترتقي بها في معالي الأخلاق والفضيلة، والابتعاد عن عصبية الجاهلية المقيتة قال-ﷺ-: "قد أذهب الله عنكم عُبيّة الجاهلية وفخرَها بالآباء، مؤمن تقيّ، وفاجر شقيّ، والناس بنو آدم وآدم من تراب"[50].

المطلب الثالث: الولاء لولي الأمر

ومن صور الولاء التي أشار إليها القرآن، الولاء لولي الأمر لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: 59]، وطاعة ولي الأمر واجبة مالم يحكم بغير ما أنزل الله تعالى، فإذا ما أقام حكم الله، وأقام العدل فله حق الطاعة "فطاعة الرسول تشتمل على احترام العدل المشرع لهم وعلى تنفيذه، وطاعة ولاة الأمور تنفيذ للعدل، وأشار بهذا التعقيب إلى أن الطاعة المأمور بها هي الطاعة في المعروف"[51].

وجعل الإسلام للعلاقة بين الحاكم والمحكوم ضوابط منها: لا طاعة مطلقة إلا لله تعالى، فطاعة ولاة الأمر مرتبطة بطاعتهم لله تعالى، لقوله-ﷺ-: "لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل"[52]، فمن أطاع الله تعالى وجبت طاعته ومن عصاه فلا سمع ولا طاعة له، ومن الأدلة على وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية، قوله-ﷺ-: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"[53].

ومن هذه الضوابط أيضًا عدم الخروج على ولاة الأمر إلا إذا ظهر منهم الكفر الصريح، ويخرج من ذلك تقصيرهم في بعض الأمور التي لا حول لهم بها ولا قوة، لقوله-ﷺ-: "وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ"[54].

ولهم حق النصيحة بالحسنى، فالحاكم يحتاج إلى من يعينه في الحق، لا من يزين له الباطل، فإذا سكت الناس عن النصيحة تركوا الحكام للبطانة الفاسدة، يعيثون في الأمة فساداً، والنصيحة لهم واجبة لحديث تميم الداري أن النبي-ﷺ- قال: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[55].

---

(48) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: 214]، ج: 1، ص: 192، رقم: 206.

(49) ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، ج: 1، ص: 134.

(50) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب، ج: 5، ص: 735، رقم: 3956.

(51) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 5، ص: 96.

(52) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، مسند علي بن أبي طالب، ج: 2، ص: 67، رقم: 1094.

(53) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الأحكام، باب: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى و{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: 59]، ج: 9، ص: 61، رقم: 7137.

(54) البخاري، المصدر السابق، كتاب الفتن، باب: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، ج: 9، ص: 47، رقم: 7056.

(55) مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ج1، ص74، رقم: 55.

المطلب الرابع: الولاء المحرم

وهذا الولاء محرم قطعاً لأنه يخرج صاحبه من الملة، لمخالفته النهي الصريح بعدم موالاة أعداء الله تعالى ومن هؤلاء:

أولاً: الكافرين وعلى رأسهم اليهود والنصارى لقوله تعالى في حق الكافرين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾ [النساء: 144]، وهنا النهي صريح عن موالاة الكافرين، لكن ما المقصود بالموالاة هنا؟ هل هي موالاتهم في دينهم؟ أم في محبتهم ومناصرتهم؟ يقول قطب: "إنها تعني التناصر والتحالف معهم، ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم، فبعيد جدًا أن يكون بين المسلمين من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين، إنما هو ولاء التحالف والتناصر"[(56)].

وقد بين الله تعالى أن لا موالاة للكافرين ومنهم اليهود والنصارى، إنما موالاتهم بينهم، وقد حذّر من عدم الانتهاء عن ذلك بأن عواقبه وخيمة، قال تعالى: ﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[الأنفال: 73]، وقد رأينا كيف عمّ الفساد وحلّ الخراب في البلاد والعباد بعد أن تحالف المسلمون مع أعداء الله تعالى، فأصبحت الأمة ممسوخة الهوية، ليس لها مهابة ولا مكانة بين الأمم، وأي فسادٍ اكثر من ذلك! وقد أبيحت الدماء وانتهكت الأعراض، حتى أصبحنا منهم في عدم الاحساس والشعور، أصبحنا نحن الأدوات التي يستخدمونها في هدم الدين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51].

ويخرج من هذا التحريم ما كان على سبيل التعايش السلمي مع المسالم من اليهود والنصارى وغيرهم لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

ثانياً: الولاء للشيطان

جاء التحذير من موالاة الشيطان بصورة أعظم من الأمر بعدم موالاته، فقد عبّر الله تعالى بطريقة أخرى وهي بيان أن الشيطان عدو، ثم الأمر باتخاذه عدواً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6]، أي "فأنزلوه من أنفسكم منزلة العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته، فإنه إنما يدعو حزبه إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)"[(57)].

ثم بعد هذه العداوة كان من يتخذ الشياطين أولياء من الخاسرين قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾ [النساء: 119]، ووصف الله تعالى أنصار الشيطان وأوليائه بعدم الإيمان، فقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 27]، أي لا يمكن أن تكون هنالك ولاية بين مؤمن وشيطان، ولما كانوا غير مؤمنين فقد حقت عليهم الضلالة، قال تعالى: ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30]، والآيات التي تحذر من موالاة الكافرين واليهود والنصارى والشياطين كثيرة، لذا اكتفيت بما يؤدي الغرض منها.

---

(56) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج: 2، ص: 909.

(57)الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج: 20، ص: 439.

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد اكتملت دراستي عن موضوع الولاء في القرآن الكريم، وقد حاولت قدر استطاعتي أن اجتهد في الوصول إلى المعاني المرادة من ذكر هذا الموضوع في القرآن، ويبقى هذا الجهد من اجتهادات البشر وقد يعتريه ما يعتريه من القصور، فما فيه من خطأ او قصور فمن نفسي والشيطان، واستغفره تعالى على ذلك.

وبعد هذه الدراسة أرى أن أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1- جاءت مادة (ولي) في القرآن في عدة معانٍ منها المحبة والنصرة، والوريث والقريب، وكذلك الأرباب والأصنام.
2- بينت الدراسة أن الولاء بمعناه الاصطلاحي يختلف عن التعايش السلمي الذي أقره الإسلام للتعامل مع غير المسلم المسالم
3- أن الولاء بمعناه المطلق لا يكون إلا لله تعالى.
4- أن موالاة النبي لا تكون إلا باتباع ما جاء به ولانتهاء عما نهى عنه
5- بينت الدراسة أن موالاة المسلمين لا تكون إلا فيما بينهم.
6- تحريم موالاة أعداء الإسلام

التوصيات والمقترحات.

استنادا لنتائج البحث توصي الباحثة وتقترح بما يأتي:

1- أن تخصص دراسات للتفريق بين مفهوم الولاء وبين مفهوم التعايش والسلم.
2- أن تخصص دراسات في ضوابط الولاء ومظاهره.

والله اسأل أن يتقبل هذا العمل لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد (المتوفى: 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: (دار الكتب العلمية1415 هـ - 1994م)، ط1.
- ابن حبان، محمد بن حبان (المتوفى: 354هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة-بيروت، 1414–1993)، ط2.
- ابن حنبل أحمد بن محمد (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، 1421هـ -2001م)، ط1.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير، (الدار التونسية للنشر– تونس، 1984هـ).
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية– بيروت، 1422هـ)، ط1.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - وآخرون، (دار الرسالة العالمية، 1430هـ-2009م)، ط1.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، (دار صادر– بيروت، 1414هـ)، ط3.

- ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري (المتوفى: 213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1375هـ - 1955 م) ط2.
- أبو حيان، محمد بن يوسف (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، (دار الفكر– بيروت، 1420هـ)، د.ط.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (المكتبة العصرية، صيدا –بيروت).
- الألباني، محمد ناصر الدين (المتوفى: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ-1995م) ط.1
- الألباني، محمد ناصر الدين (المتوفى: 1420هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته (المكتب الإسلامي).
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، (مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، 1405هـ- 1985م)، ط3، ص: 119-122.
- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، 1422هـ)، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1.
- البغوي، الحسين بن مسعود (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (دار إحياء التراث العربي–بيروت، 1420 هـ)، ط1.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر (المتوفى: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة).
- البيضاوي، عبد الله بن عمر (المتوفى: 685هـ)، ،. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (دار إحياء التراث العربي– بيروت1418 هـ)، ط1.
- الترمذي، محمد بن عيسى (المتوفى: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1395هـ- 1975م) ط2.
- حسين، سيد قطب إبراهيم (المتوفى: 1385هـ)، في ظلال القرآن، (دار الشروق- بيروت- القاهرة، 1412هـ،)، ط17.
- الخازن، علي بن محمد (المتوفى: 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، (دار الكتب العلمية- بيروت، 1415هـ)، ط1.
- الرازي، محمد بن عمر (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت-1420هـ) ط3.
- رضا، محمد رشيد (المتوفى: 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).
- الزمخشري، محمود بن عمرو (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (دار الكتاب العربي– بيروت، 1407هـ)، ط3.
- السرحان، محمد قضام، الولاء والانتماء لدى الشباب الأردني واثره في بناء الشخصية، (مطبعة التوفيق – عمان2003م).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (المتوفى: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، 1420هـ -2000م)، ط1.
- سيد قطب إبراهيم (المتوفى: 1385هـ)، في ظلال القرآن، (دار الشروق- بيروت- القاهرة، 1412هـ)، ط17، ج: 2، ص: 909.

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى (المتوفى: 790هـ)، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، (دار ابن عفان، السعودية، 1412هـ - 1992م)، ط1.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (المتوفى: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415هـ- 1995م).
- الطبراني، سليمان بن أحمد (المتوفى: 360 هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (دار إحياء التراث العربي، 1983م) ط2.
- الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م).
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، 1429 هـ- 2008م)، ط1.
- الفارابي، إسماعيل بن حماد (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين– بيروت، 1407هـ- 1987م) ط4.
- النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي - سورية - دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا، الطبعة: الثانية 1426 هـ - 2005 م
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت).
- الواحدي، علي بن أحمد (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م